القران والاحرف السبعة

للدكتور: شوكت عليان

١ ـ لغة القرآن

قبل البحث في موضوع نزول القرآن على سبعة احرف ، لابد أن نشير الى أن القرآن الكريم انزل بلسان مبين ، وقد نصت اكثر من اية على عربية القرآن . قال تعالى : « انا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون » (١) . «فانما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون» (٢)

ولسان النبى ـ ص ـ هو العربية عامة ، وعربية «لهجة» قريش من اهل مكة خاصة ، لذا فالراجح أن يكون القرآن قد انزل بلهجة قريش ، وقد يكون في قوله تعالى : « وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه » (٣) مايؤيد هذا الترجيح ، ويؤكده ما ورد من آثار في هذا الشأن :

جاء في سنن ابى داود أن عمر بن الخطاب كتب الى عبد الله بن مسعود، وهو في الكوفة : « أما بعد : فان الله انزل القرآن بلغة قريش ، فاذا اتاك كتابى هذا فاقرىء الناس بلغة قريش ، ولا تقرئهم بلغة هذيل » (٤) .

وجاء في توجيهات عثمان الى اللجنة التى كلفت في عهده كتابة القرآن: « اذا اختلفتم انتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش ، فانما نزل بلسانهم » (٥) وقريش احدى القبائل العربية ، وكان للقبائل الاخرى لغاتها «لهجاتها» كهذيل ، وتميم ، وقيس ، واسد، وطئى ... ،ومن الطبيعى ان يوجد « تباين لغوى في امور معينة بين تلك اللهجات العربية ، ولا يحول دون تفاهم افراد تلك القبائل » (٦) . ولذا لم يكن من العسير جدا على افراد القبائل العربية كافة قراءة القرآن الكريم بلسان قريش ، وانما الذى صعب على بعضهم نطق القرآن نطقا مطابقا تمام المطابقة لنطق النبى ـ ص ـ لاعتياد السنتهم النطق بلهجات قبائلهم التى نشأوا وشبوا عليها ، فاصبح من غير اليسير تحويل السنتهم الى نطق آخر ، وان كان نطقا عربيا . (٧)

وقد ظهرت هذه المشكلة بصورة واضحة بعد الهجرة ، حيث دخل في الاسلام افراد من مختلف القبائل العربية ٠

قال ابن قتيته : « ولو ان كل فريق من هؤلاء امران يزول عن لغته، وما جرى عليه اعتياده طفلا وناشئا وكهلا ، لاشتد ذلك عليه وعظمت المحنة فيه ، ولم يمكنه الا بعد رياضة للنفس طويلة ، وتذليل للسان ، وقطع للعادة ، فاراد الله ـ برحمته ولطفه أن يجعل متسعا في اللغات ، ومتصرفا في الحركات » (٨) والمتسع الذى اشار اليه العلماء هو ورود حديث عن رسول الله يدل على نزول القرآن على سبعة احرف « ان هذا القرآن انزل على سبعة احرف فاقرأوا ماتيسر منه » وهو حديث مشهور ، روى عن كثير من الصحابه ، بالفاظ متقاربة ومعان متفقة ٠ (٩)

٢ ـ حديث الاحرف السبعة :

جاء في الصحيحين عن ابن شهاب ان عمر بن الخطاب قال : « سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله ـ ص ـ فاستمعت لقراءته ، فاذا هو يقرأها على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله ـص ـ، فكدت اساوره (١٠) في الصلاه ، فتصبرت حتى سلم ، فلببته بردائه (١١) فقلت : من اقرأك هذه السورة التى سمعتك تقرأها ٠٠؟ قال : أقرأنيها رسول الله ـ ص فقلت : كذبت ، فوالله ان رسول الله ـ ص ـ قد اقرأنيها على غير ما قرأت ، فانطلقت به اقوده الى رسول الله ـ ص فقلت يارسول الله : انى سمعت هذا يقرأ » سورة الفرقان « على حروف لم تقرئنيها ، فقال رسول الله ـ ص ـ : هكذا انزلت ثم قال : اقرأ ياعمر ، فقرأت القراءة التى أقرأنى ، فقال رسول الله ـ ص ـ كذلك انزلت ، ان هذا القرآن انزل على سبعة احرف فاقرأوا ماتيسر منه » ٠

٣ ـ حديث الاحرف السبعة بين الصحة والشذوذ

صح نقل حديث نزول القرآن على سبعة احرف عن رسول الله ـص ـ واشتهرت رواياته، وتعددت اسانيده، فقد وصلنا من طريق اربعة وعشرين صحابيا (١٢) ، وستة واربعين سندا (١٣) ، واورده البخارى ومسلم وغيرهما من أئمة الحديث وروى الحافظ ابو يعلى في مسنده الكبير أن

عثمان ـ رض ـ قال يوما وهو على المنبر اذكر الله رجلا سمع النبى ـ ص ـ فقاموا حتى لم يحصوا ، فشهدوا بذلك ، فقال عثمان : « وأنا اشهد فقاموا حتى لم يحصوا ، فشهدوا بذلك ، فقال عثمان : « وأنا اشهد معهم » (١٤)

وتوافق هذه الجموع الكثيرة التى يؤمن تواطؤها على الكذب ، حمل بعض الائمة على القول بتواتر الحديث ، وفي طليعة هؤلاء ابو عبيد القاسم ابن سلام · (١٥)

ومن الغريب ان بعض المستشرقين طعن في صحة هذا الحديث ، ودمغه بانه « شاذ غير مسند » والاغرب من ذلك أن ينسب هذا الطعن الى أبى عبيد الذى قال بتواتر الحديث ، والذى اوقع « جولد تسهر » (١٦) في هذا الوهم ـ ان لم يكن العمد مع سبق الاصرار والترصد ـ هو أن أبا عبيد فسر الاحرف السبعة بسبع لغات من لغات العرب ، ثم ذكر حديثا آخر يفسرها بضروب من المعانى المختلفة : حلال وحرام ، وأمر ونهى ، وخبر ما كان قبلكم ، وخبر ماهو بعدكم ·· ، وعلق عليه بقوله : ولسنا ندرى ما اوجه هذا الحديث لانه غير مسند ·

فابو عبيد دمغ هذه الرواية من الحديث بالشذوذ ، ولم يصف اصل حديث الاحرف السبعة بالشذوذ ، ولكن جولد تسهر تلقفها منه ، وسرعان ماعممها على جميع روايات حديث الاحرف السبعة ·

ورفض بعض العلماء أحاديث نزول القرآن على سبعة أحرف جملة وتفصيلا ، ودعا الى اهمالها ، وبعبارة اخرى الى رفض روايتها عن النبى ـ ص ـ بدعوى انها لم ترد من طريق اهل البيت ، وأنها مخالفة لصحيحة زرارة بن أعين عن أبى جعفر ـ ع ـ قال : « ان القرآن واحد ، نزل من عند واحد، ولكن الاختلاف يجيء من قبل الرواة » وايضا فان الصادق ـ ع ـ حكم بكذب رواية الاحرف السبعة وقال : « ولكنه نزل على حرف واحد من عند الواحد » ولكن فات المحقق الخوئى (١٧) أن صحيحة زارة هذه هى خبر واحد ، وان الكلينى رواها في النوادر » (١٨)

وانه من الصعب جدا التسليم بخبر واحد ، او بقول منسوب ، دون

سند يذكر ، في الوقت الذى لا نسلم فيه ، بل نرفض حديثا متواترا او مشهورا ، ورد الينا من طريق اربعة وعشرين صحابيا ، وستة وأربعين سندا .

واما القول بأن الروايات متهافتة لتناقضها : « فمن التناقض ان بعض الروايات دل على أن جبريل اقر النبى ـ ص ـ على حرف ، فاستزاده النبى ـ ص فزاده ، حتى انتهى الى سبعة احرف ، وهذا يدل على أن الزيادة بالتدريج في وفي بعضها أن الزيادة كانت مرة واحدة في المرة الثالثة ، وفي بعضها أن الله امره في المرة الثالثة أن يقرأ القرآن على ثلاثة احرف،وكان الامر بقراءة سبع في المرة الرابعة » .

« ومن التناقض أن بعض الروايات يدل على أن الزيادة كلها كانت في مجلس واحد ، وأن طلب النبى ـ ص ـ الزيادة كان بارشاد ميكائيل ، فزاده جبريل حتى بلغ سبعا ، وبعضها يدل على أن جبريل كان ينطلق ويعود مرة بعد مرة » (١٩) .

فيجاب عنه بان التناقض هنا شكلى ما دام مضمون الروايات واحد. وهو الامر او الاخبار او الترخيص بالقراءة على سبعة احرف ، ومما يهون من شأن هذه الاختلافات الشكلية في الروتين كثرة الطرق التى انتقل بها الحديث ، فلا معنى لهذه الكثرة ما لم توجد اختلافات يسيره تنتهى دائما نهاية واحدة ، فالثابت هو هذه النهاية التى اجمع عليها هذا الجمهور من الرواة والاسانيد (٢٠) .

٤ ـ حكمة انزال القرآن على سبعة احرف

اجتهد العلماء والباحثون ـ قديما وحديثا ـ في التعرف على الغاية التى من اجلها انزل القرآن على أكثر من حرف ، فاهتدوا الى حكم كثيرة ، وغايات جليلة وفوائد عظيمة ، نذكر اهمها بايجاز من كتاب مناهل العرفان (٢١) :

١ ـ التيسير على الامة الاسلامية كلها ، خصوصا الامة العربية التى شوفهت بالقرآن ، فانها كانت قبائل كثيرة ، وكان بينها اختلاف في اللهجات

ونبرات الاصوات ، وفي طريقة الاداء وشهرة بعض الالفاظ في بعض المدلولات على الرغم انها كانت تجمعها العروبة ، ويوحد بينهما اللسان العربى العام ، فلو الزمت كلها بقراءة القرآن على حرف واحد لشق ذلك عليها ·

فللتخفيف على هذه الامة ، وارادة اليسر بها ، والتهوين عليها شرفا لها وتوسعة ورحمة وخصوصية لفضلها ، واجابة لقصد نبيها أفضل الخلق وحبيب الحق ، حيث اتاه جبريل فقال ـ ص ـ : « أن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرف ، فقال ـ ص ـ أسأل الله معافاته ومعونته فان امتى لاتطيق ذلك ، ولم يزل يردد المسألة حتى بلغ سبعة أحرف » (٢٢)

٢ ـ جميع الامة على لسان واحد « لسان قريش » الذى انزل به القرآن الكريم ، والذى انتظم كثيراً من مختارات السنة القبائل العربية ـ التى كانت تختلف الى مكة في موسم الحج ، وفي اسواق العرب المشهورة ـ بحيث اصبحت محاسن السنة القبائل العربية مستجمعة في لسان قريش ، ومتمثلة فيه · مما أهلها لنزول القرآن بها ، مصطفيا ما شاء من السنة غيرها بهدف وحدة اللسان العربى العام ، حيث ان وحدة اللسان من اهم عوامل وحدة الامة ·

٣ ـ بيان حكم من الاحكام ، كقوله سبحانه : « وان كان رجل يورث كلالة ، أو امرأة وله اخ أو اخت فلكل واحد منهما السدس » (٢٣) قرأ سعد بنوقاص : « وله أخ او أخت من أم » فتبين بها أن المراد بالاخوة في هذا الحكم الاخوة للام دون الاشقاء ومن كانوا الاب ، وهذا أمر مجمع عليه ·

٤ ـ الجمع بين حكمين مختلفين بمجموع القراءتين ، كقوله تعالى : « فاعتذلوا النساء في المحيض ، ولا تقربوهن حتى يطهرن » (٢٤) قرىء بالتخفيف والتشديد في حرف « الطاء » من كلمة « يطهرن » ولا ريب أن صيغة التشديد تفيد وجوب المبالغة في طهر النساء من الحيض ، لان زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى · أما قراءة التخفيف فلا تفيد هذه المبالغة : ومجموع القراءتين يحكم بأمرين :

احدهما ، ان الحائض لايقربها زوجها حتى يحصل اصل الطهر ، وذلك بانقطاع الحيض · وثانيهما ، انه لا يقربها زوجها ايضا الا اذا بالغت في الطهر ، وذلك بالاغتسال ، وهو ما ذهب اليه الامام الشافعى ومن وافقة ·

٥ ـ الدلالة على حكمين شرعيين ولكن في حالين مختلفين كقوله تعالى في بيان الوضوء : « فاغسلوا وجوهكم وايديكم الى المرفق ، وامسحوا برءوسكم وارجلكم الى الكعبين » (٢٥) قرىء بنصب لفظ « ارجلكم » وبجرها ، فالنصب يفيد طلب غسلها ، لان العطف حينئذ يكون على لفظ « وجوهكم » المنصوب ، وهو مغسول · والجر يفيد طلب مسحها ، لان العطف حينئذ يكون على لفظ « رؤسكم » المجرور ، وهو ممسوح ·

٦ ـ رفع توهم ما ليس مرادا كقوله تعالى : « يايها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله » (٢٦) وقرىء « مامضوا الى ذكر الله » فالقراءة الاولى يتوهم منها وجوب السرعة فـــى المشى الى صلاة الجمعة ، ولكن القراءة الثانية رفعت هذا التوهم لان المضى ليس من مدلوله السرعة ·

٧ ـ بيان لفظ مبهم على البعض ، نحو قوله تعالى : « وتكون الجبال كالعهن المنفوش » (٢٧) وقرىء « كالصوف المنفوش » فبينت القراءة الثانية أن العهن هو الصوف ·

٨ ـ ان تنوع القراءات من البراهين الساطعة ، والادلة القاطعة على أن القرآن كلام لله ، وعلى صدق من جاء به وهو رسول الله ـص ـ ، فان هذه الاختلافات فى القراءة ـ على كثرتها ـ لا تؤدى الى تناقض فى المقروء ، ولا الى تهافت وتخاذل ، بل القرآن كله على تنوع قراءاته ، يصدق بعضه بعضا ، ويبين بعضه بعضا ، ويشهد بعضه لبعض ، على نمط واحد في علو الاسلوب والتعبير ، وهدف واحد من سمو الهداية والتعليم ، وهذا من غير شك ـ يفيد تعدد الاعجاز بتعدد القراءات والحروف ·

٥ ـ معنى الاحرف السبعة

لم يصح عن النبى ـ ص ـ شىء فى تحديد الاحرف السبعة ، ولا فى تعيين المقصود منها · لذ اختلف العلماء ـ قديما وحديثا ـ فى تحديد المراد منها ، فكثر البحث فيها ، وتعددت الاراء فى معناها ، حتى أوصلها بعض العلماء الى خمسة وثلاثين رأيا (٢٨) · وبلغ بها آخرون اربعين (٢٩) · واكثرها لا يؤيده نقل صحيح ، ولا منطق مستقيم ومنشأ الخطأ فيها ارادة التعيين على سبيل القطع والجزم ، مع أنه لم يأت فى معناها ـ كما يقول ابو بكر العربى ـ نص ولا اثر ، واختلف الناس في تعيينها(٣٠) وسنجمل آراء العلماء فى معنى الاحرف السبعة فى اتجاهين ، ثم نفصل القول فى كل اتجاه ، مبينين اهم ما يندرج تحته من آرام ·

الاول : أن المراد بالسبعة حقيقة العدد ، وعليه اكثر العلماء ·

الثانى : انه ليس المراد بها حقيقة العدد ، وانما المراد السعة والتيسير وبه قال بعض العلماء ·

الاتجاه الاول : ـ

عرفت ان اكثر العلماء ذهبوا الى أن المقصود بالسبعة في الحديث هو الحصر ، ولكنهم اختلفوا فى تحديد تلكم الاحرف · واشهر الارام فى هذا الاتجاه هى :

١ ـ أن المراد بالاحرف السبعة ، سبع لغات « لهجات » من لغات العرب متفرقة فى جميع القرآن ، فبعضه نزل بلغة قريش ، وبعضه نزل هذيل ، وبعضه بلغة تميم ·· وهكذا الى السبعة ·

والى هذا الرأى ذهب ابو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤ هـ) وتبعه فيه ابو حاتم السجستانى (ت ٢٥٠) واحمد بن يحى ثعلب (ت ٢٩١) واختاره الازهرى (ت ٣٧٠) (٣١) وتبعهم آخرون (٣٢) ·

قال ابو عبيد فى بيان رأيه : « قوله : سبعة احرف » يعنى سبع لغات من لغات العرب ، وليس معناه ان يكون فى الحرف الواحد سبعة

أوجه ، هذا ما لم نسمع به قط ، ولكن نقول هذه اللغات السبع متفرقة فى القرآن ، فبعضه نزل بلغة قريش ، وبعضه بلغة هذيل ، وبعضه بلغة هوزان ، أهل اليمن وكذلك سائر اللغات ، ومعانيها فى هذا كله واحدة . وفيما يبين ذلك قول ابن مسعود : انى قد سمعت القراء فوجدتهم متقاربين فاقرأوا كما علمتم ، انما هو كقول احدكم : هلم وتعال . كذلك قال ابن سيرين : انما هو كقولك : هلم وتعال واقبل ، ثم فسره ابن سيرين ، فقال فى قراءة ابن مسعود : « ان كانت الا زقية واحدة » وفى قراءتنا : « ان كانت الاصيحة واحدة » (٣٣) فالمعنى فيها واحد ، وعلى هذا سائر اللغات » .

وقال ايضا : « ولا يكون المعنى فى السبعة الاحرف الا على اللغات ، لا غير ، بمعنى واحد ، لا يختلف فيه فى حلال ولا حرام ولا خبر ولا غير ذلك » (٣٤) . واعترض ابن قتيبة وغيره على هذا الرأى ، وقالوا : لم ينزل القرآن الا بلغة قريش ، لقوله تعالى : « وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه » (٣٥) وبأن لغات العرب من سبعة ، وليس هناك ما يرجع لغة على لغة ، ولم ينقل نص صحيح فى ذلك ، فيكون اختيار اللغات السبع تحكم بلا دليل ، .

واستبعد ابن عبد البر « أن يكون معنى سبعة احرف سبع لغات ، لانه لو كان كذلك لم ينكر القوم بعضهم على بعض فى أول الامر ، لان ذلك من لغته التى طبع عليها ، وايضا فان عمر بن الخطاب وهشام ابن حكيم كلاهما قرشى، وقد اختلفت قراءتهما ، ومحال أن ينكر عليه عمر لغته (٣٦)

٢ ـ ان المراد بالاحرف السبعة سبعة أوجه من المعانى المتفقة بالالفاظ المختلفة ، نحو أقبل ، وهلم ، وتعال ، وعجل ، واسرع ، وأنظر واخر ، وأمهل .. ، ذهب الى هذا الرأى سفيان بن عيينة (ت ١٩٨) وعبد الله ابن وهب (ت ١٩٧) وابو جعفر الطحاوى (ت ٣٢١) وغيرهم (٣٧) .

وقال الطبرى فى بيان هذا الرأى : « السبعة التى انزل بها القرآن هى لغات سبع ، فى حرف واحد ، وكلمة واحدة ، باختلاف الالفاظ واتفاق المعانى ، كقول القائل : هلم ، واقبل ، وتعال ، واتى ، والى ، وقصدى ، ونحوى ، وقربى ، ونحو ذلك مما تختلف فيه الالفاظ بضروب من المنطق ، وتتفق فيه المعانى ، وان اختلفت بالبيان به الالسن » .

واستدرك الطبرى مقررا : « انا لم ندع أن ذلك موجود اليوم ، وانما اخبرنا ان معنى قول النبى ــ ص ــ : «انزل القرآن على سبعة احرف» على نحو ما جاءت به الاخبار التى تقدم ذكرها ، وان القراءة الان على حرف واحد دون الستة الاخرى باختيار الامة ذلك ... » (٣٨) .

وواضح أن هذا الرأى يعنى ان الاحرف السبعة هى لغات سبع فى الكلمة الواحدة ، وان كل ما يقرأ به الان هو حرف واحد من الاحرف السبعة ، واما الاحرف الستة الباقية فمرفوضة باجماع الامة ، وكأنها كانت رخصة مؤقتة ، واما الرأى السابق فقد فسرها بسبع لغات متفرقة فى القرآن ، ورفض تفسيرها بسبعة أوجه « لغات » فى الكلمة الواحدة .

قال ابن عبد البر « اجمعوا على أن القرآن لا يجوز فى حروفه وكلماته وآياته كلها أن تقرأ على سبعة أحرف : ولا شىء منها ، ولا يمكن ذلك فيها، بل لا يوجد فى القرآن كلمة تحتمل أن تقرأ على سبعة أوجه الا قليل ، مثل « وعبد الطاغوت » «وتشابه علينا»(٤٠) و«عذاب بئيس » (٤١) ونحوه ٤٢ .

وقد استغل بعض المستشرقين هذا الرأى فى ادعاء أن القرآن تعرض للتحريف بسبب قراءة بالمعنى ، وقالوا : « ان نظرية القراءة بالمعنى كانت بلا ريب أخطر نظرية فى الحياة الاسلامية ، لانها أسلمت النص القرآنى الى هوى كل شخص ، يثبته على ما يهواه » (٤٣) .

وفى هذا حمل للنصوص على غير وجهها الحقيقى ، فليست النظرية هنا مما يصح حقا أن يسمى « القراءة بالمعنى » (٤٤) ، كما نفهمه مثلا في رواية الحديث بالمعنى (٤٥) ، اذ «القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان فالقرآن هو الوحى المنزل على محمد ــ ص ــ للبيان والاعجاز ، والقراءات هى اختلاف الفاظ الوحى المذكور في كتابة الحروف أو كيفيتها ، من تخفيف وتثقيل وغيرها » (٤٦) .

فاذا صح أنه ــ عليه السلام ــ وسع على المسلمين فى أول الامر ، وراعى التخفيف على العجوز والشيخ الكبير (٤٧) ، وأذن لكل منهم أن يقرأ عليه حرفه ، أى على طريقته فى اللغة ، لما يجده من المشقة فى النطق بغير لغته ، فليس معنى هذا انه كان يأذن لهم باثبات هذه القراءات

وكتابتها على انها حروف نزل عليها القرآن واذن : فيما كانت توسعته عليه السلام – فى هذا النوع من القراءة الا تخفيفا على بعض الافراد فى حالات خاصة ، واما ما أذن فيه من هذه الحالات باثباته واقر كتبة الوحى عليه فهو محفوظ بطريق التواتر فى احرف قليلة معدودة يرفض ما عداها، ولو جاء من طريق صحيح أحادى ، لان التواتر شرط في اثبات القرآنية (٤٨) ، فتعميم هذه الحالات الفردية على جميع الاحرف السبعة كانها ضرب من القراءة بالمعنى ، لا يمكن أن يقتصر عليه فى فهم الحديث (٤٩) .

٣ – ان المراد بالاحرف السبعة سبعة اوجه من اختلاف القراءات ، فى القرآن ، أى انها لا تتوارد على الكلمة الواحدة ، والى هذا الرأى ذهب ابن قتيبة (٢٧٦) وبذل جهدا فى تصنيف وجوه القراءات على وفق منهجه هذا ، واقتفى اثره – مع اختلافات يسيرة – كثيرة ممن جاءوا بعده .

قال ابن قتيبة فى بيان رايه : « وقد تدبرت وجوه الخلاف فى القراءات فوجدتها سبعة أوجه » (٥٠) :

١ – الاختلاف فى اعراب الكلمة ، أو فى حركة بنائها بما لا يزيلها عن صورتها فى الكتاب ولا يغير معناها ، كقوله تعالى : « هن أطهر لكم » (٥١) وقرئت بالنصب : « هن أطهر لكم » .

٢ – الاختلاف فى اعراب الكلمة وحركات بنائها بما يغير معناها ، ولا يزيلها عن صورتها في الكتابة ، كقوله تعالى : « ربنا باعد بين أسفارنا » (٥٢) وقراءة : ربنا باعد .. »

٣ – الاختلاف فى حروف الكلمة دون اعرابها بما يغير معناها ، ولا يزيل صورتها ، كقوله تعالى : « كيف ننشزها » (٥٣) وقراءة « ننشرها »

٤ – الاختلاف فى الكلمة بما يغير صورتها فى الكتاب ولا يغير معناها ، كقوله تعالى : « ان كانت الا صيحة » (٥٤) وقراءة «الا زقية» .

٥ – الاختلاف فى الكلمة بما يزيل صورتها ومعناها ، نحو قوله تعالى « وطلح منضود » (٥٥) وقراءة « وطلع منضود » .

٦ ـ الاختلاف بالتقديم والتأخير نحو قوله تعالى : « وجاءت سكرة الموت بالحق » (٥٦) ، وقراءة « وجاءت سكرة الحق بالموت » ·

٧ ـ الاختلاف بالزيادة والنقصان ، نحو قوله تعالى « له تسع وتسعون نعجة » (٥٧) · وقراءة « نعجة انثى » ·

واستطرد قائلا : وكل هذه الحروف كلام الله تعالى ، « نزل به الروح الامين » على رسوله ـ عليه السلام ـ فالهذلى يقرأ : « عتى حين » يريد « حتى حين » لانه كان يلفظ بها ويستعملها ، والاسدى يقرأ : « تعلمون وتعلم » و « تسود وجوه » (٥٨) و « الم أعهد اليكم » (٥٩) · والتميمى يهمز ، والقرشى لا يهمز ، والاخر يقرأ « اذا قيل لهم » (٦٠) و « غيض الماء » (٦١) باشمام الضم مع الكسر ، و «هذه بضاعتنا ردت الينا » (٦٢) باشمام الكسر مع الضم و « مالك لا تأمنا» (٦٣) باشمام الضم مع الادغام ، وهذا ما لا يطوع به كل لسان (٦٤) ·

وهذا التفسير من ابن قتيبة يعتمد فى الواقع على ما فى بعض روايات الحديث من اشارة الى اسباب اباحة القراءة على سبعة احرف ، وصورة الخلاف بينها ، الى جانب انه قد صنف وجوه الخلاف في القراءات، بادئا من ابسط صور الخلاف ، متدرجا الى اكثر بعدا عن القراءة المشهورة (٦٥) ·

والثلاثة الاولى من وجوه الخلاف لا تناقض النص المجمع عليه فى مصحف عثمان ، والاربعة الاخيرة تخالف الرسم العثمانى ، اذا كان الخلاف من أولها منحصرا فى احلال كلمة مكان كلمة بمعناها ، وفى ثانيها ابدال صوت من صوت ، يتغير به المعنى ، وفى ثالثها مخالفة فى ترتيب الكلمات عن المعهود المشهور ، وفى رابعها زيادة أو نقص عن النص المشهور · وكل ذلك داخل فى مفهوم الاحرف السبعة ، والمهم فى نظر ابن قتيبة الا يبلغ الخلاف حد التضاد ، والا خرج عنها ، وحرمت القراءة بها ، وانما يجوز أن يكون اختلاف تغاير ، يتحد به معنى النص ولا يتناقض (٦٦) ·

الاتجاه الثانى : ـ

عرفنا أن بعض العلماء ذهبوا الى أنه ليس المراد بالسبعة الحصر ، وانما التيسير والتسهيل والتوسعة .

قال ابن الخزرى : « وقيل ليس المراد بالسبعة حقيقة العدد ، بحيث لا يزيد ولا ينقص ، بل المراد السعة والتيسير ، وانه لا حرج عليهم في قراءته بما هو من لغات العرب ، من حيث أن الله تعالى اذن لهم فى ذلك . والعرب يطلقون لفظ السبع والسبعين والسبعمائة ، ولا يريدون الكثرة والمبالغة من غير حصر .. ، وهذا جيد لولا أن الحديث يأباه » (٦٧) .

وقد مال الى هذا الرأى القاضى عياض (ت ٥٤٤) (٦٨) ، واليه نميل ، واختاره بعض المعاصرين . ومنهم الدكتور عبد الصبور شاهين ، وقد عرض الرأى عرضا مقنعا فى كتابه « تاريخ القرآن » (٦٩) وهذا ملخصه : مهد الدكتور لاختياره هذا الرأى بذكر ثلاث ملاحظات هامة :

قرر فى الاولى ، أن زمن الترخيص بقراءة القرآن على سبعة أحرف لم يكن فى الفترة المكية ، حيث كان مجموع المؤمنين كلا متجانسا ، أغلبهم من قريش ، وعددهم محدود ، واتصالهم بالنبى ، المعلم الاول ، دائم ، فهم من كل وجه ـ عددا ، ونوعا ، وظرفا ـ قادرون على تلاوة القرآن صحيحة سالمة من الغلط ، من هنا لم تنشأ اختلافات فى النص القرآنى ، تحتم مواجهتها كمشكلة فى هذه الفترة ، وانما ظهرت خلال الفترة المدنية حيث كان المؤمنون فى ازدياد ، ومن مختلف القبائل العربية ، فضلا عن ان المجتمع المدنى كان خليطا من العرب واليهود ، كذلك كانت اعمار المؤمنين تتفاوت ، واكثرهم من الكبار الذى فاتهم عهد التعلم ، والنبى فوق ذلك كله مشغول بمسئوليات هائلة فى التوجيه والتنظيم ، والحكم ، والحرب والسلام .. ، فلم يعد من السهل على كل مسلم ان يتلقى القرآن من النبى مباشرة ، بل من استطاع أن يظفر بقطعة أو بقطعتين من فم النبى فقد واتاه خير كثير ، وليقرأ بقدر ما تسعفه ذاكرته ، ولهجته ، فى حدود ما علمه الرسول ـ ص ـ . هذه الظروف الجديدة هى التى اقتضت سن هذه الرخصة فى تلاوة القرآن ، وهى موقوتة ببقاء مقتضياتها

زائلة بزوال اسبابها ، اى بعودة الحياة الى مستوى من الاستقرار والتجانس، قريب من مستوى العهد المكى · وهو ما لم يحدث الا على عهد عثمان ·

وقرر في الثانية ، اهم الاسباب الباعثة على الترخيص ، منها :

أ ـ الاختلاف فى اللغة ، كالهمز وعدمه ، والامالة وسواها ، والفك والادغام ·· ،

ب ـ الاختلاف فى بعض المفردات ، كقولك : هلم ، وتعالى ، واقبل ·· ،

حـ ـ الاختلاف الناشىء عن العجز فى النطق بسبب صغر السن ، اوالشيخوخة، او الجهل ·· ،

وقرر فى الثالثة ، ان الترخيص بقراءة القرآن على سبعة احرف ، كان غير مطلق اى أنه ليس لكل فرد ان يقرأ القرآن على سبعة احرف ، وانما يلزم كل فرد ان يقرأ ما لقنه معلمه ـ النبى أو أحد الصحابة دون أن يحاول تقليد غيره فى قراءته اولا ، ودون أن يحاول فرض قراءته على غيره ثانيا ، ومن هنا كان تصويبه ـ ص ـ لكل من قرأ بحضرته ، برغم اختلافهم · وقال بعد ذلك : « فالذى نرجحه فى معنى الاحرف السبعة : ـ مايشمل اختلاف اللهجات ، وتباين مستويات الاداء ، الناشئة عن اختلاف السن ، وتفاوت التعليم ، وكذلك ما يشمل اختلاف بعض الالفاظ ، وترتيب الجمل بما لا يتغير به المعنى » (٧٠) ·

وبسبب ترجيحه هذا ، فى هدى ما مر من ملاحظات ، وبعدم ورود نص أو أثر يحدد المراد من الاحرف السبعة ، ولتقبل الصحابة ـ وهم اكثر الناس معاناة للمشكلة ـ الامر على انه من باب التوسعة والتيسير ·

اذن : فدلالة العدد ، هنا غير مرادة لذاتها ، ومن مجانبة التوفيق أن نحاول حصر الاحرف السبعة بسبع لغات مجتمعة أو متفرقة ، معينة أو شائعة ، أو أن نحدد مستويات سبعة للاختلاف لتفسير المراد بالاحاديث ، فكل ذلك خبط بغير دليل (٧١) ·

وبهذا يتفق الدكتور مع من يقول بالغاء هذه الرخصة ، فى عهد عثمان ، بعد جمع القرآن ، وكتابة المصاحف ·

كما يتفق مع من يقول ببقاء روح هذه الرخصة الى اليوم ، يقرأ في حدودها المسلمون من شتى الاجناس ، على اختلاف السنتهم فى الماضى والحاضر والمستقبل (٧٢) ، ولكنه لا يعد ذلك من الاحرف السبعة ، بل من روح التيسير التى تميز به الاسلام (٧٣) .

خاتمـــــة

في خاتمة بحثنا فى هذا الموضوع الشائك ، أود أن انبه الى امرين :ـ

أولهما : بعد أن عرفنا أن الحكمة من نزول القرآن على سبعة احرف، هى التيسير والتسهيل ، ورفع الحرج عن فئات من المسلمين كانت تجد مشقة فى قراءتها النص القرآنى ، على حسب نطق النبى ـ ص ـ نضيف ـ هنا ـ أن تلك الرخصة كانت قاصرة على التلاوة ، ولم تشمل كتابة النص القرآنى ، فالثابت من روايات كتابة القرآن فى حياة النبى ـ ص ـ أن كتبة الوحى كانوا يكتبون نص القرآن ، كما يمليه النبى ـ ص ـ بلسان قريش ، أى ان الكتابة لم تكن كالقراءة على سبعة أوجه ، لسبب بديهى هو أن دلالة الاحرف السبعة لا يمكن ضمها فى رمز خطى ، وقد تمت عملية الكتابة فى مكة بيد كتاب قريشيين ، وفى المدينة بيد جماعة من الانصار، ولم تكن بين الحيين فروق تذكر » (٧٤) .

ثم أن الصحف التى جمعت فيها القرآن فى خلافة ابى بكر ، اعتمدت اساسا على ما كتب بين يدى النبى ـ ص ـ وعلى حسب نطقه واملائه . ولما تمت عملية نسخ المصاحف من تكلم الصحف فى خلافة عثمان ، كان التاكيد كبيرا على كتابتها على حسب نطق النبى واملائه .

فكتابة المصاحف اذن ، كانت بعيدة عن آثار رخصة الاحرف السبعة ، ولهذا ما ان عممت تلكم المصاحف على الامصار حتى ترك الناس كل قراءة جاءت مخالفة لها أو لا يحتملها رسمها (٧٥) .

وثانيهما : ليس المقصود بالاحرف السبعة قراءة معينة من القراءات التى تنسب الى قارىء معين ، بل أن الاحرف جاءت لتشير الى الرخصة التى نجد اثارها فى وجوه القراءات ـ عامة ـ التى ثبت نقلها . اما ما يسمى

بالقراءات السبعة فانها لم تعرف على هذا النحو الا رأس المائة الرابعة من الهجرة ، حيث اختار الامام ابو بكر احمد بن مجاهد (ت ٣٢٤) قراءة سبعة من ائمة القراء فى الامصار الاسلامية ، ووضع فى قراتهم كتابه المشهور باسم « السبعة » (٧٦) .

هوامش البحث

١ ـ يوسف /٢

٢ ـ الدخان /٢٨

٣ ـ ابراهيم /٤

٤ ـ وانظر : ابن حجر /فتح البارى ح٩ ص ٢٧

٥ ـ البخارى / الجامع الصحيح ح٦ ص ٢٢٤

٦ ـ د. ابراهيم انيس / فى اللهجات العربية ص ١٦

٧ ـ انظر ابن حجر / فتح البارى ٢٨/٩

٨ ـ تاويل مشكل اعراب القرآن ص ٢٨

٩ ـ انظر روايات حديث الاحرف السبعة فى تفسير الطبرى ح ١ ص٢١ وقد احصاها الدكتور عبد الصبور شاهين في ملحق كتابه تاريخ القرآن ص ٢٢٩ ـ ٢٤٥ وانظر ملاحظاته ونقد الاستاذين احمد ومحمود شاكر لاسانيد وروايات الحديث ص ٢٥ ـ ٣٢ .

ثم انظر : تلكم الاحاديث ووجه الاستشهاد منها في مناهل العرفان للزرقانى ح١ ص ١٣٨ ـ ١٤٥ .

١٠ـ ساوره : وثب عليه : اى كدت اثب عليه .

١١ـ اللبب : موضع القلادة ، وما يشد من سيور السرج فى اللبة .

واللبة : المنحر ، الفيروز آبادى / القاموس المحيط/مادة لبب

١٢ـ منهم : عمر ، وعثمان ، وابو بكرة ، وابن مسعود ، وابن عباس ، وابو سعيد الخدرى وابن طلحة الانصارى ، وابى بن كعب ، وزيد بن أرقم ، وسمرة بن جندب ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعمرو بن ابى سلمة ، ومعاذ بن جبل ، وهشام بن حكيم ، وانس ، وحذيفة ٠٠٠ ،

١٣ـ السيوطى / الاتقان حـ١ ص ٧٨ و د ٠ عبد الصبور شاهين / تاريخ القرآن ص ١٩٣ ثم انظر : تعليق الدكتور عبد الصبور شاهين على رأى المحقق الخوئى فى كتابه/ تاريخ القرآن ص ٣٠ ٠

١٤ـ نفسه ٠

١٥ـ السيوطى / الاتفاق حـ ١ ص ٧٨

١٦ـ مذاهب التفسير الاسلامى ص ٥٤

١٧ـ انظر : رأيه من روايات الحديث ونقده لها فى كتابه البيان فى تفسير القرآن ص ١٩٣

ثم انظر : تعليق الدكتور عبد الصبور شاهين على راى المحقق الخوئى فى كتابه / تاريخ القرآن ص ٣٠

١٨ـ اصول الكافى ، كتاب فضل القرآن ٠ باب النوادر ـ الروايتان ١٣ ١٣ وقد قرر شارح الروايتين ، الشيخ عبد الحسين المظفر فى كتابه الشافى فى اصول الكافى ، كتاب فضل القرآن حـ٧ ص ٢٢١ ـ ٢٢٢ أن الامام ـ ع ـ انما كذب ما فهم من المراد بالاحرف السبعة ، اختلاف القراءة ، وان تكذيب الامام لا ينافى تفسير الحديث بسبع لغات من لغات العرب أو بغير ذلك ٠ وعلى هذا فالامام لم ينف اصل الحديث ، وانما رفض تفسيره بتعدد القراءة ، وانظر : الزبخانى/ تاريخ القرآن ص ٣٥ ـ ٣٨ حيث اورد حديث الاحرف السبعة واجتهد فى شرح معناه ٠

١٩ـ المحقق الخوئى/ البيان ص ١٩٤ ـ ١٩٥

٢٠ـ انظر الدكتور عبد الصبور شاهين /تاريخ القرآن ص ٣١

٢١ـ الزرقانى /مناهل العرفان حـ١ ص ١٣٨ ـ ١٤٢

٢٢ـ النشر فى القراءات العشر حـ ١ ص ٢١ والحديث جاء فى الصحيحين
انظر صحيح البخارى حـ ٣ ص ٢٢٦ وصحيح مسلم حـ ١ ص ٥٦١

٢٣ـ النساء/١٢

٢٤ـ البقرة/ ٢٢٢

٢٥ـ المائدة/ ٦

٢٧ـ القارعة/٥

٢٨ـ الزركشى / البرهان حـ١ ص ٢١٢ وقد نسبه الى ابى حاتم بن حبان البستى ·

٢٩ـ السيوطى / الاتقان حـ ١ ص ٧٨ ·

٣٠ـ الزركشى / البرهان حـ ١ ص ٢١٢ ، وصحى الصالح/مباحث فى علوم القرآن ص ١٠٣

٣١ـ الزركشى/البرهان حـ ١ ص ٢١٧ ، وانظر : الزرقانى/مناهل العرفان حـ ١ ص ١٧٣

٣٢ـ السيوطى / الاتقان حـ ١ ص ١٣٥

٣٣ـ يسين / ٢٩

٣٤ـ غريب الحديث حـ ٣ ص ١٥٩ ـ ١٦١ عن غانم قدورى حمد/ محاضرات فى عموم القرآن حـ ٢ ص ٨٥

٣٥ـ ابراهيم / ٤

٣٦ـ الزركشى / البرهان حـ ١ ص ٢٢٠ والسيوطى / الاتقان ١٣٤ .

٣٨ـ تفسير الطبرى حـ ١ ص ٥٧ ـ ٥٩ ، والزرقانى/ مناهل العرفان حـ ١ ص ١٦٧

٣٩ـ المائدة /٦٠

٤٠ـ البقرة/٧٠

٤٢ـ الزركشى / البرهان حـ ١ ص ٢٢٣

٤٣ـ الدكتور صبحى الصالح / مباحث فى علوم القرآن ص ١٠٨ ، عن عن المستشرق بلاشير فى تاريخ الادب العربى .

٤٤ـ انكر ابن الجزرى فى كتابه « النشر فى القراءات العشر » القراءة بالمعنى فقال : « أما من يقول بأن بعض الصحابة ، كابن مسعود يغير بالمعنى فقد كذب عليه . انما قال : نظرت القراء فوجدتهم متقاربين فاقرأوا كما علمتم » .

٤٥ـ د. صبحى الصالح / مباحث فى علوم القرآن ص ١٠٧

٤٦ـ الزركشى / البرهان حـ ١ ص ٣١٨ .

٤٧ـ يشهد لهذا « ما رواه الترمذى عن ابى بن كعب انه لقى رسول الله ـ ص ـ جبريل فقال : « يا جبريل ، انى بعثت الى امه اميين ، منهم العجوز ، والشيخ الكبير ، والغلام ،والجارية ،والرجل الذى لم يقرأ كتابا قط » فقال : يا محمد ، ان القرآن انزل علـى سبعة أحرف » الزركشى / البرهان حـ ١ ص ٢٢٧ .

٤٨ـ الزركشى / البرهان حـ ٢ ص ١٢٥

٤٩ـ الدكتور صبحى الصالح / مباحث فى علوم القرآن ص ١٠٨

٥٠ـ تاويل مشكل اعراب القرآن ص ٢٨ ـ ٣٠ عن الدكتور عبد الصبور شاهين/ تاريخ القرآن ص ٣٣ ـ ٣٤ وانظر الزرقانى / مناهل العرفان ح ١ ص ١٥١ ـ ١٥٢ وانظر : مقدمة ابن عطية ص ٢٦٤ ـ ١٦٥ .

٥١ـ هود / ٧٨ .

٥٣ـ البقرة / ٢٥٩

٥٤ـ يسين /٢٩

٥٥ـ الواقعة / ٢٩

٥٦ـ ق / ١٩

٥٧ـ ص / ٢٣

٥٨ـ آل عمران / ١٠٦

٥٩ـ يسين / ٦٠

٦٠ـ البقرة / ١١

٦١ـ هود / ٤٤

٦٢ـ يوسف / ٦٥

٦٣ـ يوسف / ١١

٦٤ـ تاويل مشكل القرآن ص ٢٩ ـ ٣٠ وانظر / الزرقانى / مناهل العرفان ح ١ ص ١٥٥

٦٥ـ الدكتور عبد الصبور شاهين / تاريخ القرآن ص ٣٥

٦٦ـ السابق وقد اشار الى تاويل مشكل القرآن ص ٣١ .

٦٧ـ النشر فى القراءات العشر ح ١ ص ٢٥

٦٨ـ السيوطى / الاتفاق ح ١ ص ١٣١

٦٩ـ ص ٣٩ ـ ٤٤

٧٠ ـ د. عبد الصبور شاهين / تاريخ القرآن ص ٤٣

٧١ـ نفسه .

٧٢ـ الدكتور ابراهيم انيس / اللهجات العربية ص ٤٧

٧٣ـ تاريخ القرآن ص ٤٤

٧٤ـ الدكتور عبد الصبور شاهين / تاريخ القرآن ص ٥٤ ، ٤٧ ، ٤٤
والشيخ حسنين مخلوف / البيان فى علوم التبيان ص ٩٣ ، ٩٤

٧٥ـ انظر : غانم قدورى حمد / محاضرات فى علوم القرآن ص ٩٣ ـ ٩٤

٧٦ـ نفسه ص ٩٨

اهم مصادر البحث

١ ـ اجنتس جولد تسهر

مذاهب التفسير الاسلامى ، مطبعة السنة المحمدية ، مصر ١٩٥٥ ؛
ترجمة الدكتور عبد الحليم النجاد .

٢ ـ السيد ابو القاسم الموسوى الخوئى

البيان فى تفسير القرآن ، الطبعة الثانية ، مطبعة الاداب فى النجف
٣ ـ عبد الحسين المظفر .

الشافى فى شرح اصول الكافى ، مطبعة الغرى الحديثة فى النجف .

٤ ـ الدكتور صبحى الصالح

ماحث فى علوم القرآن ، الطبعة العاشرة ، دار العلم للملايين ، بيروت .

٥ ـ عبد الحق بن عطية

مقدمة تفسيره المسمى الجامع المحرر ، تحقيق آرثر جعفرى ، وعبد الله الصاوى ، الطبعة الثانية ، مطبعة دار الصاوى ـ مصر .

٦ ـ غانم قدورى حمد

محاضرات فى علوم القرآن ، مطبوعة بالرونيو

٧ ـ ابو عبد الله الزبخانى

تاريخ القرآن ، الطبعة الثالثة ١٩٦٩ ، مؤسسة الاعلمى ، بيروت
٨ ـ الدكتور عبد الصبور شاهين

تاريخ القرآن ، الطبعة الاولى ، دار القلم بيروت ١٩٦٦ م

٩ ـ ابو جعفر محمد بن جرير « الطبرى »

جامع البيان عن تاويل القرآن ـ تحقيق وتعليق محمود محمد شاكر ومراجعة احمد محمد شاكر ـ دار المعارف ١٣٧٤ هـ .

١٠ـ محمد بن عبد الله الزركشى

البرهان في علوم القرآن ـ تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، الطبعة الثانية ، عيسى البابى الحلبى

١١ ــ محمد عبد العظيم « الزرقانى »

مناهل العرفان في علوم القرآن ، طبعة عيسى البابى الحلبى

١٢ــ الدكتور ابراهيم انيس

فى اللهجات العربية ــ الطبعة الثانية ١٩٥٢ والثالثة ١٩٦٥ م

١٣ــ شمس الدين محمد ابن الجزرى

النشر فى القراءات العشر ــ نشر باشراف على محمد الضباع ، الطبعة الاولى .

١٤ــ محمد بن يعقوب « الفيروزابادى »

القاموس المحيط ، مؤسسة الحلبى وشركاه ــ القاهرة .

١٥ــ محمد بن عبد الله بن مسلم « ابن قتيبة »

تاويل مشكل القرآن ــ بشرح وتحقيق السيد احمد صقر ــ الطبعة الاولى ١٩٥٤

١٦ــ ابو حامد محمد « الغزالى »

المستصفى من علم الاصول ، للطبعة الاولى ١٩٣٧ م ، مطبعة مصطفى محمد .

١٧ــ عبد الفتاح القاضى

تاريخ المصحف ، مطبعة المشهد الحسينى .

١٨ــ محمد فؤاد عبد الباقى

المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم ، دار مطابع الشعب .

١٩ـ محمد بن اسماعيل « البخارى »

صحيح البخارى ، دار احياء التراث العربى ، بيروت .

٢٠ـ « مسلم » بن الحجاج القشيرى

صحيح مسلم ، مطبعة محمد على صبيح ـ مصر .

٢١ـ محمد حسنين « مخلوف »

عنوان البيان فى علوم التبيان ، الطبعة الثانية ١٩٦٤ م ، مطبعة البابى الحلبى بمصر .

يسر الدارة أن تنشر اعتبارا من عددها القادم الجزء الاول من البحث الذى اعده الدكتور عبد الله محمد سندى عن المغفور له الملك الشهيد فيصل بن عبد العزيز والتضامن الاسلامى

وقد سبق للباحث ان قدم هذا البحث باللغة الانجليزية فى مؤتمر الملك فيصل الذى عقد فى مدينة سانت باربارا بولاية كاليفورنيا الامريكية ، خلال الفترة من ٤ ـ ٦ جمادى الآخرة ١٣٩٨ ﻫ الموافق ١١ ـ ١٢ مايو ١٩٧٨ م .

والجدير بالذكر أن الدكتور عبدالله محمد سندى احد الكفاءات الوطنية التى تعتز بها الدارة ، فقد حصل سعادته على درجة الدكتوراه ، وأعد البحث من واقع رسالته العلمية .